دور سكان منطقة ازجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي اثناء الحرب العالمية الاولى

أ.هقاري محمد
المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى
أق أخموك تامنغست (الجزائر)

ملخص:

يتطرق ا لموضوع الى دور سكان ازجر والهقار ضد التوسع الفرنسي في مقاومة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية اثناء الحرب العالمية الاولى (1916-1917) ويشرح اوضاع المنطقتين قبل واثناء الحرب .مع التعريف بدوافع ذلك التوسع ، و الدور الذي قامت به الحركة السنوسية في تحريك ردود فعل السكان من خلال العديد من المعارك التي تولت قيادتها في المنطقتين في اطار الحرب المقدسة للسنوسية .

Abstract:

Th main concern of this artical is the Rol of the inhabitants of any region in resisting th french expansion in the Algerian sahara during the first world war (1916-1917) It also explains the conditions, through which the whole area went through before and during th war, It also defines the factors behind the french expansion in the Algerian sahara and the role played by S'inusia mouvment in stimulating the inhabitants through The adoption of the slogan of the s'inusia sacred war.

تعتبر مقاومة سكان منطقة آزجر و الهقار أثناء الحرب العالمية الأولى (1916-1917) من بين أهم ردود الفعل التي سجل من خلالاها سكان المنطقتين بصمتهم في سجل تاريخ المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي .

و مثلما كان للطرق الصوفية دورها في تحريك وتنشيط وتعبئة الجماهير في العديد من نواحي الوطن للمشاركة في المقاومة الشعبية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين فقد كان للحركة السنوسية هي الاخري دورها المماثل اثناء الحرب العالمية الاولي في رفع راية الجهاد وتعبئة سكان منطقة ازجر والهقار للثورة من خلال اعلانها للحرب المقدسة في شمال افريقيا وغربها وكامل ربوع الصحراء الكبرى.

دوافع التوسع الفرنسي في الصحراء:

لقد تظافرت عدة عوامل شجعت الانجليز و الفرنسيين على التوسع في الصحراء الافريقية و بسط نفوذهم على مختلف أجزائها ، و يمكن تقسيم الدوافع التي شجعتهم على ذلك إلى:

1- دافع **القضاء على الثوار المعتصمين بالصحراء :** حيث اتخذ العديد من رجال المقاومة الشعبية وزعمائها من الصحراء ملاذا و معقلا و جبهة خلفية للاعتصام بها بعد ما اضطرتهم اسباب عدم تكافؤ موازين القوة بينهم و بين العدو الفرنسي وقلة الموارد المادية و المعدات العسكري فأصبحت بذلك العديد من المناطق ميدانا لتنظيم خطوط الدفاع و إعداد خطط للهجوم ضد القوات الفرنسية بالتعاون مع سكان الصحراء الذين لم يدخروا جهدا في إيواء و مؤازرة هؤلاء الثائرين من اجل تحرير الوطن ، بالرغم من الثمن الباهض الذي دفعوه في العديد من المرات بسبب إقدام القوات الفرنسية على قنبلة قراهم و مداشرهم و حرق واحات نخيلهم والاستيلاء على قطعان ماشيتهم لكنهم آثروا ذلك على خذلان إخوانهم المقاومين والتخلي عنهم في مثل هذه الظروف[1]

2- الدافع الاقتصادي : يأتي هذا الدافع في مقدمة الدوافع التي جعلت الفرنسيين يهتمون بالصحراء حيث كانت فرنسا كغيرها من الدول الأوربية تعاني من نقص فادح في المواد الأولية خصوصا بعد الهزيمة التي لحقت بها أمام ألمانيا في الحربالسبعينية و خسارتها لمنطقتي الألزاس و اللورين .

و لعل مقولة السيد بول (Paul le Roy) هي أصدق تعبير عن هذه الوضعية حيث يقول **:«... اليوم التجارة ، و الصناعة الفرنسية تعاني و هي في حاجة ماسة لإيجاد مجالات حيوية للمستقبل و ان اسواق العالم القديم تغلق كل يوم امام منتوجاتنا الطبيعية و الصناعية ، نستطيع القول انه لم يبق في الكرة الارضية الا منطقتين تستطيع فيهما فرنسا اليوم القيام بالاستعمار في المستقبل فيهما هما : الهند الصنية ، و افريقية ...الجزائر تقع في بوابة عالم افريقيا ، و تمنحنا في بضع ساعات من البحر قاعدة صلبة لعمليتنا السهلة و المنظمة حيث لا يتطلب من الامر الا مد ايدينا لتحقيق امبرطوريتنا التي تعبر عن حالتنا في عالم داخل افريقية و السودان...» .**

و لم يكتفي بول لوروي "بالتعبير عن الوضعية الحرجة التي يعرفها اقتصاد بلاده بل نراه يقارن حال بلده الذي لم يتخذ التدابير اللازمة لمد النفوذ و للحصول على مناطق اكثر خصوبة و وفرة بالمياه لتطوير الانتاج الزراعي و تنوعة مثلها فعل نضرائهم الانجليز في شرق افريقيا وحوض النيل و تبدو نبرة الحصرة والالم الشديد باديه في مقولته التالية **:«... ان الارض الواقعة بين المحيط الاطلسي والمحيط الهندي والتي تعتبر الارض الاكثر انتاجا ،والاكثر غنا بالذهب في ساحل زنجبار ،حيث تسيطر بريطانيا على اعالي النيل البلد الاكثرخصوبة في افريقيا الاستوائية تمكنها من انتاج كمية كبيرة من القمح تنافس الهند واستراليا بينما نحن الفرنسيون وبرغم تواجدنا هناك عن طريق مبشرينا لم نطالب باية منطقة في سواحل زنجبار...»**

و يضيف قائلا: مزدريا و محتقرا بلده فرنسا التي لم تقم بإرساء تقاليد سياسية جديدة تتماشي وتوجه الاقتصاد العالمي انذاك لان ارساء هذه التقاليد يعتبرها كل فرنسي و من خلالها يستطيع كل مواطن فرنسي ان يضمن ما يحتاجه من غذاء ورخاء و أمن**: «... اذا كانت لنا سياسة وتقاليد استعمارية فكل فرنسي يهمه حوض نهر النيجر وروافده وكل الحوض الداخل لبحيرة تشاد هنا تتواجد المناطق الاكثر خصوبة وانتاجا وسكانا (دول الهوسا، سكوتو ،برنو ، باقيرمي) وهذه هي هند نا الجديدة السودان....»(2)**

ولذلك وجد الفرنسيون أن أضمن وسيلة تمكنهم من استنزاف خيرات القارة هي مد سكة حديدية عابرة للصحراء نحو السودان ، و في الواقع ان فكرة انشاء هذا الخط كانت متزامنة مع فكرة مدهم لخط ثاني للسكة الحديدية ينطلق من السنغال نحو نهر النيجر .

هذا و قد كانت فكرة انشاء الفرنسين لهذين الخطيين نابعة من تأثرهم بفكرة خط السكة الحديدية الذي انشأه سكان العالم الجديد من أجل ربط سواحل المحيط الاطلسي بمناطق الغرب الامريكي عام 1869[3] ، و إذا كان الفرنسيون قد كلفوا قادة عسكريين على درجة عالية من الكفاءة بمهة انشاء خط سكة حديد السنغال النيجر من امثال فيدرب لويس[4] الذي بدأ المهمة بجعل دكار العاصمة السينغالية مركز لاعداد مخططات التوغل داخل القارة و منطقة تمويل البعثات العسكرية للسيطرة على المناطق الحيوية في الداخل فان ارشينارد[5] قد كلف بإنشاء خط السكة الحديدية الممتد من السنيغال إلى داخل مناطق افريقيا جنوب الصحراء غير أن البرلمان الفرنسي رفض انجاز الخط الأول للأسباب التالية :

- ارتفاع تكلفة انجازه مع خط سكة حديد السنغال.
- المخاطر التي ينطوي عليها انجازه إن اصر الكولونيل فلاتيرس على إتمامه بعيدا عن رضى و موافقة الطوارق ، و الذين توقف المشروع بسبب قضائهم على البعثة و قائدها عام 1881م.

الدافع الديني: إن هذا الدافع يدخل في إطار اتمام استراتيجية التنصير الشاملة التي وضعت الكنيسة الكاثوليكية قاعدته الاولى في الجزائر ،من خلال نظام الأباء البيض و الذي وضع الكاردينالافيجري اسسه بالتنسيق مع الحاكم العام الجنرال بيجو في الشمال لتمتد جذوره الى باقي بلدان افريقيا جنوب الصحراء ، و لذلك جند بيجو كل الامكانيات من أجل أن يصبح الغزو العسكري مكملا للغزو الديني في الصحراء ***(6)***.

اقامة مجموعة من الكنائس في كل المدن الصحراوية و في اكثر الاحياء الشعبية كثافة بالسكان ، واكثرها ايضا فقرا وفاقة يتولى المبشرون مهمة تقديم المساعدات لساكنيها من الاغذية ،و الالبسة ، الادوية وبذلك يتم التقليل من تاثيرالمرابطين ورجالها الطرق الصوفية في اوسطاهم فيتمردون عليهم وعلى الدعوات الداعية للجهاد ضد النصاري .وقد بدات فعلا طلائع المبشرين تصل الى الصحراء انطلاقا من عقد الخمسينات من القرن الماضي حيث تولي الجنرال بيجو مسؤولية تنفيذ سياسة تنصيرواسعة النطاق حددها في قوله: « ... علينا ان نجعل من الارض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء ارجاؤها بنور منبع الانجيل ...تلك هي رسالتنا...»[7].

كما أغرت فصول هذا المخطط التبشيري المعد خصيصيا للصحراء الاب "ريتشارد Richard"الذى الح على لافيجري بالسماح له بالذهاب الى منطقة ازجر للقيام بعملية تمسيح الطوارق بمعية الاب "كرمبون Karamabon " لكنهما لقيا نفس مصير من سبقوهم من المبشرين هناكو هو الموت [8] .

و يظهر لنا بذلك ان مخطط التبشير في الصحراء الذي اشرفت عليه الكنيسة الكاثوليكية بمعية الحكومة العامة بالجزائر كان يدخل ضمن استراتجية سير الكنيسة في المقدمة و بموازاة الزحف الاستعماري في الشمال، و الصحراء أيضا و أن الهدف منه كذلك إعادة تنشيط و بعثت الكنيسة الافريقية الرومانية على كامل التراب الجزائري[9]

و قد مهد الفرنسيون لها بارسال مجموعة من المستكشفين، ياتي في مقدمتهم الجنرال كافيناك[10] الذي قام بحملة في الصحراء خلال عقد الاربعينات من القرن التاسع عشر والتي استطاع ان يجمع من خلالها معلومات معتبرة عن بعض الواحات الصحراوية (بوابات الصحراء)كبسكرة وتقرت والوادي وورقلة وغرداية والاغواط...الخ لكن نظرا لان حملته لم تدم الافترة قصيرة (ما بين شهر افريل و ماي1847) لم تكن المعلومات التي تضمنتها كافية لترضي فضولهم وتحقق لهم كل ما كانوا يحتاجونه لان كافينياك وان كان قد سجل في حملته معلومات تخص السكان و مظاهر السطح و اشكال الحكم و نشاط التجارة الصحراوية بين التل و الصحراء و السودان الانه اعتمد فيها على كتابات الرحالة الذين سبقوه ومنهم: النقيب" كاريت Carette" صاحب كتاب (ابحاث في جغرافية وتجارة الجزائر الجنوبية) والرحلة "ريتشاردصونJames Richardson"و يقول كافينياك مشيرا الى ذلك "و من المعلوم ان طوابيرنا لم تصل أبدا الى الفلات و لكن حدود الفلات هذا لم يمنعنامن التلذذ بمنظر شبيه تماما بالصحراءالكبرى" [11] ثم قام من بعده برحلة مماثلة الى الواحات الصحراوية كل من الباحث اندريان بربروجار Adrien BERBRUGGER [12] و والضابط براكس Praxوقد جمعا هما ايضا معلومات تخص جوانب مختلفة حول الصحراء وسكانها ، ثم ياتي من بعدهم في عقد الخمسينات من القرن التاسع عشرالحاكم العام للجزائر(راندون) و الذي سعي الى محاولة الدخول في علاقات مع سكان اقصي الجنوب الشرقي استدعي "حمزة بن بوبكر"[13] من قبيلة اولاد سيدي الشيخ الذي كان احد اعيان الصحراء الطامحين و المتحمسين لخدمة الفرنسيين فتوسط بين الفرنسيين و الطوارق عن طريق الشيخ عثمان بن الحاج البكري الذي نجح في ربط الصلة بين الطرفين بعدها قام اسماعيل بوضربة برحلة الى اغدامس 1858 و قدم تقريرا حول الطرق المؤدية الهذه المدينة كما اتصل بالشيخ اخنوخن امنوكال ازجر الذي ابدي له استعداده للسماح للفرنسيين بالانضمام لنشاط التجارة الصحراوية و كانت خاتمة هذه الاتصالات رحلة "هنري دوفيري" الذي استطاع هو الاخر القيام برحلة استكشافية الى منطقة ازجر و كان دليله هو الآخر في الصحراء الشيخ عثمان بن الشيخ البكري و قد توجت رحلة "هنري دوفيري" الاستكشافية بدراسة شاملة حول طوارق ازجر اما معلوماته عن الهقارفلم تكن ثمرة

ابحاث قام بها في عين المكان بل كان مصدره فيها بعض اعيان منطقة ازجر وبعض التجار الذين ينشطون في ميدان التجارة الصحراوية بين المنطقتين.

و قد جمع دوفيري نتائج ابحاثه في كتاب سماه "الطوارق الشماليين les Touargs du nord" كما كانت من اكبر نتائج الرحلة الاكتشافية لدوفيري هي ربط علاقات اقتصادية مع طوارق ازجر تمثلت في معاهدة اغدامس 1862[14] بين الشيخ اخنوخن و ممثلي الحكومة الفرنسية باسم راندون والتي بموجبها اصبحت فرنسا طرفا في التجارة الصحراوية.

و قد فتحت هذه العلاقات الاقتصادية للفرنسيين ابواب الصحراء على مصراعيها ليس لتحقيق الارباح فقط و منافسة الطوارق و نظرائهم الانجليز الذين كانوا اعضاء في نشاط التجارة الصحراوية قبل مجيء الفرنسيين.

لكن الملاحظة التي يجب ذكرها هي ان الفرنسيين قد استخدموا هذه العضوية في اعمال التجسس وخدمة مخططاتهم التوسعية في الصحراء سعيا منهم للسيطرة عليها وايضا استعمالها كجسرلربط مستعمراتهم في شمال القارة و غربه ،أما منطقة الهقار التي اوقف الفرنسيون محاولات توغلهم فيها بعد القضاء على بعثة فلاتير 1881 فإن تكرار محاولتهم لم يكن إلا بعد مرور عشرين سنة عن طريق بعثة فيرو لامي، حيث أيقن فيرو أن احسن حل يمكن ان يساعد الفرنسيين للتوغل في منطقة الهقار هو اعتماد مخطط عسكري محكم ، فشرع في اعداده مع صديقة لامي Lamy قائد المنيعة الذي رحب بالفكرة ، خصوصا بعدما وصلته معلومات مفادها ان القوات الفرنسية في افريقيا الاستوائية التي تواصل زحفها نحو تشاد اصبحت على مشارف هذا البلد مما يعني ان ربط مستعمرات فرنسا في شمال القارة مع مستعمراتها الغربية أصبح أمرا واجبا[15]

و تشكلت البعثة من 10 ضباط فرنسيين و 286 جندي من المهاريست و 13 صبايحي على الاحصنه ، وانطلقت من مدينة ورقلة يوم 2 اكتوبر 1898 وعند وصولها الى عين الحجاج شرعت البعثة في اختراق الطاسيلي و منذ ذلك الحين اصبحت تحركاتها و تقدمها تحت انظار طوارق الهقار و قد ادرك الأمنوكال أهيتاغل " ان البعثة مسلحة تسليحا عسكريا يستحيل على الطوارق ان يدخلوا معها في مواجهة[16] من خلال اتباعه الذين كانوا يراقبونها ،فرد على رسالة لامي lamy التي وصلت اليه بانه يمنح الترخيص للبعثة بعبور ارضي الهقار[17] نحو السودان و كانت فرحة الفرنسيين بهذا الانجاز كبيرة لا توصف ، فقد كسرت بعثة فورولامي عقدة الخوف من الطوارق واعتبر الفرنسيون ان قوة الطوارق وجبروتهم التي كانت تؤرقهم امر مبالغ فيه وقد وفرت هذه البعثة للفرنسيين من المعلومات و الملاحظات و الاجوبة عن كل الاسئلة التي كانوا في حاجة الى معرفة اجوبتها عن طبيعة ، وتضاريس ، وسكان ، الهقار ما اشفى غليلهم هذا فضلا عن معلومات علمية وسياسية لا تقدر بثمن[18] ، و بنجاح بعثة "فورولامي" في عبور منطقة الهقار نحو السودان بسلام يكون الفرنسيون قد نجحوا في نقل اثار الحرب النفسية التي ظلوا يعانون منها مدة عشرين سنة بسبب هاجس الخوف من التوارق إلى سكان منطقة الهقار ، لكن هل كان اعتقادهم في محله؟.

و من جهة ثانية أن المساعدة التي طلبها "أهيتاغل" لإنجاح الحرب المقدسة ضد الكفار من السلطان العثماني بعد انتصاره على حملة فلاتيرس لم يصل منها شيء للهقار[19] ، كما ان طلب المساعدة من طوارق الجنوب الشرقي اصبح شبه مستحيل من خلال الاجراءات و العمليات التي شرع الفرنسيون في اتخاذها لمنع التنسيق بين سكان ازجر و الهقار ضدهم، يضاف إلى ذلك الاستعانة بسكان تيديكلت في هذه الفترة ايضا لم يكن ممكنا لان الفرنسيون وجهوا اليها والى توات العديد من البعثات التي مكنتهم من اخضاعها و اخضاع توات ايضا من بينها بعثة فلامونـد FLAMAND و اذا ما نظرنا الى جنوب منطقة الهقار فنجد كذلك أن الفرنسيون حسب الأخبار التي وردت اليهم تفيد ان قواتهم اصبحت على مشارف بحيرة تشاد و حدود المالي و النيجر [20] .

اوضاع منطقتي ازجر و الهقار قبل الحرب العالمية الاولي:

1-منطقة ازجر:

الحرب الايطالية التركية في ليبيا: قبل ان تندلع هذه الحرب حصل تغير مفاجئ على مستوى هرم السلطة في الدولة العثمانية سنة 1908 هذا التغير يتعلق بثورة الشباب التركي (جماعة الاتحاد و الترقي) التي اطاحت بعرش السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[21]، و أدت هذه الثورة الى تولي جماعة الا تحاد والترقي مقاليد الحكم في القسطنطينية و بدون شك إن هذا التغيير ادى الى حدوث تحولات كبير في السياسة التركية تجاه ليبيا كما كان له انعكاساته الواضحة على الوضع في منطقة ازجر و يتضح ذلك من خلال الاجراءات التى اقدمت عليها جماعة الاتحاد و الترقي بشان المنطقة و منها:

- بعد الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني تم استدعاء الحاكم العالم العثماني في طرابلس (رجب باشا) الى الاستانة ليتولى منصب وزارة الحرب التركية لكن من مساوئ الصدف انه وفاه الاجل في نفس اليوم الذي وصل فيه الى اسطنبول.
- تبعه إجراء مماثل حيث تم استدعاء (جامي باي) قايم مقام مدينة غات إلى الأستانة، و أدت هذه الاجراءات إلى احداث فراغ سياسي و إستراتيجي في المنطقة ليس لصالح الفرنسيين الذين سوف يستغلونه كما سوف نوضح فيما يأتي من اجل السيطرة على مدينة جانت، و لكن لصالح الايطاليين أيضا الذين وجدو فيه فرصة سانحة لطالما انتظروها حيث لم يفوتوا هذه الفرصة لتحويل اتفاقهم السري مع الفرنسيين سنة 1902بشان ليبيا الى واقع مغتنمين فرصة انشغال العثمانيين بمشاكلهم الداخلية و انشغال الدول الأوروبية بالأزمة المراكشية (ازمة اغادير) 1911[22] هذه الازمة التي تشابكت خيوطها بعد فشل مؤتمر الجزيرة الخضراء1906[23] في تحقيق تسوية مقنعة للألمان بشان المغرب امام استفحال النفوذ الفرنسي المدعم من القوى الاوروبية لتعلن ايطاليا ودون سابق انذار الحرب على العثمانيين في طرابلس[24] و تقوم قواتها بغزو كل من مدن : (درنة ،طرابلس ،طبرق ، و بنغازي) ،ابتداء من 29 سبتمبر1911.

و نظرا لضعف الدولة العثمانية كان يبدو من الواضح و منذ بداية هذه الحرب ان نتيجتها ستكون محسومة لصالح الايطاليين حيث اضطرت الدولة العثمانية بسبب ما كانت تعيشه من اضطرابات و صراع داخلي حول السلطة و بسبب حركات التمرد الخارجي للتنازل عن ليبيا لإيطاليا ،و جزر الديكوكانيز في بحر ايجة وهذا بعد التوقيع على معاهدة اوشي لوزان في اكتوبر 1912[25] .

هذا وقد عبر الجزائريون عن حزنهم وحيرتهم و تضامنهم مع اخوانهم الليبيين على لسان الصحفي "عمر بن قدور" بعد تفريط العثمانيين في هذا القطر الشقيق وابرامهم للصلح مع الايطاليين حيث كان يعتبر الجزائريون ليبيا ملجا ومعبرا لهم نحو الشرق فقال:"كل احد يعلم ان ضياع طرابلس الغرب وبرقة اذا مضي عليه في عقد الصلح ولوتنويها اوتلويحا ،فان الشرق يضيع البته،وتضحي ابواب الرجاءوقد ارتجت ،فليتق الله ارباب الامر في طرابلس الغرب و برقة[26].

في ذات الشهر الذي دخلت فيه الدولة العثمانية في مواجهة اخرى من خلال الحرب التي اعلنتها عليها فيمنطقة البلقان كل من اليونان، والبلغار،وصربيا،وسكان الجبل الاسود بدعم روسي ودامت المواجهة من 1912-1913 ومن جانبهم الفرنسيون لم يفوتوا فرصة هذه المشاكل التي حلت بالاتراك ليقوموا بتسريع عملية استكمال مخططهم الهادف للسيطرة على مدينة جانت و من خلالها كامل الصحراء خصوصا اثناءهذه الفترة التي كان فيها قادة منطقة ازجر (أمنوكال انقدازن و الشيخ امود) غائبان عن جانت بسبب مشاركتهم في الحرب الايطالية التركية الى جانب

الاتراك[27]فيعلن الفرنسيون سيطرتهم على واحة جانت بطريقة سليمة و دون مقاومة سنة 1911م لتصبح نهائيا جزء نفوذهم .

انعكاسات الحرب الايطالية التركية على منطقة ازجر:

أدت هذه الحرب الى خلط جميع الأوراق في المنطقة وافرزت واقعا جديدا تميز بـــــــــــ:

- انقلاب الموازين لصالح الايطاليين والفرنسيين.

-انسحاب الاتراك من ليبيا جعل قادة المقاومة في ازجر(السلطان امود و انقدازن)ا لمعتصمين بمدينة غات في وضع لايحسدون عليه .

- و الوضع العام في الصحراء الجزائرية او حتى علي مستوى تونس لم يكن يسمح باجراء اتصالات من اجل الحصول على الذخيرة و السلاح لمواصلة مقارعة الايطاليين، فالمنفذ البحري الوحيد الذي كان يمكن ان يعتمدوا عليه في هذا الشأن ميناء طرابلس قد سده الايطاليون عليهم هذا من جهة ومن جهة ثانية في كامل الصحراء الجزائري اغلقت عليهم كل ابواب الاتصال لطلب الامدادات و المساعدات من اخوانهم في هذه المناطق لسيطرة الفرنسيين على كل من واحات توات ،و تيديكلت و منطقة الهقار مع مطلع القرن العشرين .

و بالتالي فإن الورقة الوحيدة التى اصبح بإمكانهم توظيفها ميدانيا هي جمع ما تبقى لهم من امكانيات حربية ساندو بها الاتراك في مواجهتهم للايطاليين والرمي بكل ثقلهم في هذه.المرحلة من اجل استرجاع عاصمة اقليمهم (جانت) من ايدي الفرنسيين فاسحين المجال امام الحركة السنوسية لتتحمل عبء الجهاد ضد الايطاليين في ليبيا بزعامة الشريف احمد السنوسي و بدأ المجاهدون تحت قيادة الأمنوكال انقدازن و السلطان أمود بإتمام التحضيرات لبداية الهجوم.

منطقة ازجر اثناء الحرب العالمية الاولي: هناك خمسة ملاحظات لابد من الاشارة اليها عند اندلاع الحرب بالنسبة الى منطقة ازجر و هي:

1/ تحول ليبيا الى جبهة من جبهات الحرب العالمية الاولي وهذا بحكم استمرار المواجهة بين الايطاليين والحركة السنوسية منذ انسحاب الاتراك من ليبيا 1912 وهذا سيكون له انعكاسه المباشر على منطقة ازجر التي كان قادتها (السلطان امود و ابوبكر اق لقوي) يحاربون الى جانب السنوسيين.

2/ في سنة 1914 تمكن السنوسيون من اجبار الايطاليين للانسحاب من محيط مدينة غات وا غدامس نحو الاراضي الجزائرية طا لبين المساعدة من الفرنسيين كما تمكنوا من الاستيلاء على المدافع و الرشاشات و البنادق و الذخيرة التي خلفها الايطاليون ورآهم في ساحات المعارك و بإنسحاب الايطاليين أصبحت الجبهة الجنوبية(الحدود الجنوبية الغربية لليبيا) مفتوحة أمام الحركة السنوسية و قادة آزجر) لكن الايطاليين مكنتهم مساعدات الفرنسيين لهم من العودة للأراضي الليبية لسد الطريق أمام زحف السنوسيين نحو جانت[28].

3/ في صيف سنة 1915 تستفيد الحركة السنوسية من تعزيزات عسكرية ومعدات حربية مختلفة من طرف الالمان والأتراك لمساعدتها للوقوف في وجه الفرنسيين بحكم انتمائهم للحلفاء ضد دول المحور[29].

4/ الى غاية سنة 1915 كانت ايطاليا تلتزم الحياد في الحرب فلم تنظم لا الى دول المحور و لا الى دول الحلفاء فاضطر الحلفاء الى ان يوقعوا معها معاهدة لندن 1915[30] من اجل الانضمام إليهم مقابل بعض الامتيازات و منها منحها جزر الديكوكانيز في البحر المتوسط و منحها جميع الحقوق العائدة للسلطان العثماني في ليبيا بمقتضي معاهدة اوشي لوزان1912 و أيضا في حالة تقسيم الجزء الأسيوي من تركيا تحصل إيطاليا على حصة عادلة من منطقة "ادليا" في البحر المتوسط وبعد حصول ايطاليا على هذه الضمانات والامتيازات اعلنت الحرب على تركيا يوم 20 اوت 1915م.

5/ أعلنت الحركة السنوسية الحرب المقدسة في شمال افريقيا و كامل الصحراء وهذا العامل سيدفع سكان منطقتي ازجر و الهقار على الغليان و الثورة تحت تأثير الدعاية السنوسية مما سوف يؤدي إلى تولد ردود الفعل في المنطقتين خلال سنة 1916م خصوصا بعد الاستجابة الكبيرة التي لقيتها الدعاية السنوسية من طرف القبائل في المنطقتين.

اهم المعارك من اجل استرجاع واحة جانت: لقد كانت سنة 1916م سنة حاسمة بالنسبة لردود فعل سكان منطقة آزجر و الهقار و هذا في اطار الحرب المقدسة للسنوسية ضد خصومها الفرنسيين فالغاليان الثوري و النشاط المتواصل للعمليات العسكرية ضد الفرنسيين بلغ ذروته القصوى في الاشهر الاولى لمطلع هذه السنة والنتائج الميدانية المحققة كانت اكثر من مطمئنة للقادة السنوسيين و هذا ما سوف يكون عاملا يدفعهم الى توسيع عملياتهم العسكرية الى اقصى حدود الصحراء (منطقة النيجر ،و الاير)، و اذا كانت معدات ربط الاتصال بين جنود الحركة السنوسية على جبهات القتال المختلفة لا ترقى إلى مستوى ما كان لدى اعدائهم الا ان معاركهم السابقة و ما غنمه المجاهدون من اسلحة من الايطاليين و التهديد الخطير الذي سببوه للفرنسيين في الجبهة الغربية لليبيا مكنتهم من تغطية هذا الجانب كما بينت لهم انهم قادرون على الذهاب بعيدا في الحرب ، و يمكن أن نرجع عامل الثقة و قدرة القادة السنوسيين على التحكم في سير المعارك بهذه الكيفية الى عاملين:

الأول: الإمدادات المتواصلة التي كانت تصلهم من طرف الالمان و الاتراك وهذا العامل قوي من قدرتهم على مواصلة الحرب و توسيع عملياتهم ومشاركة الجنود الالمان الى جانبهم في الحرب.

الثاني: الثمار الايجابية و المفرحة للدعاية للحرب المقدسة التي وجدت استجابة واسعه في منطقة الاير و النيجر حيث اعلنت الكثير من القبائل هناك و من بينها منطقة قبائل الهقار أيضا التي أبدت استعدادها للانخراط في الجهاد المقدس من أجل دحر أعداء الله و قد عزز من موقف السنوسية في هذه المناطق الدور الكبير للتعبئة الذي قام به رجال الدين و المرابطون خاصة من قبائل كيل اسوك و قبائل كنته كذلك[31]

اما اذا ما عدنا الى اهم المعارك من اجل استرجاع جانت التي احتلها الفرنسيون سنة 1911م فعمليات الاستعداد لها قد بدأت نهاية شهر جانفي 1916م في مدينة غات الليبية وانطلقت معاركها في ربيع 1916م حيث قامت الحركة السنوسية بالتنسيق مع السلطان آمود بن المختار و الامنوكال بوبكر لقوي بالتخطيط للعمليات و ذلك بحشد و تعبئة مجموعة كبيرة من الجنود و القبائل المتمردة على الفرنسيين كما اشرفوا أيضا على توفير كل ما تحتاجه من أسلحة مختلفة رشاشات مدافع حديثة تم غنمها من الايطاليين و أعداد معتبره من الذخيرة و أوكلت مهمة قيادة هذه القوات الى السلطان آمود بمعية عبد السلام التهوني والسي العابد السنوسي و توجهوا بها نحو مدينة جانت[32] و لما أصبحت هذه المجوعة على مشارف واحة جانت يوم 4 مارس 1916م الاستخبارات الفرنسية أبلغت قائد الحامية العسكرية الفرنسية في جانت "لوران لابيير laureent lapierre" بوصول اكثر من 400 جندي مسلح بالبنادق و الرشاشات بالإضافة الى بعض المدافع قد تجمعوا حول محيط جانت فقام لابيير بتنظيم عناصر حاميته استعدادا للدفاع و في اليوم الموالي بدأت المواجهة صباحا بإطلاق نيران مدافع المجاهدين من عيار 65 ملم على منطقة تمركز الفرنسيين داخل المدنية ليقوم لابيير بالرد عليهم بمدفع من عيار 80 ملم و استمر الحصار على واحة جانت من طرف المجاهدين من 05 مارس الى 13 من نفس الشهر قدر خلالها لابيير أن استمراره في مواجهة المجاهدين لن تسفر في النهاية الا على القضاء عليهم او تدفعه للاستسلام لهم و كلا الامرين لا يحبذهما فأرسل حينها مبعوثين من الشعانبه المجندين في حاميته اللذين استطاعا التسلل ليلا لطلب المساعدة و النجدة من الكتيبة الفرنسية المتمركزة في سهول واد تارات ليصلوا الى الكابتان ديكلو المتمركز في برج بولينياك (باليزي) الذي ارسل على الفور 120 جندي من المهارسيت الى جانت لإنقاذ الحامية الفرنسية[33].

و قبل وصول النجدات الى الواحة كانت كميات المؤونه لحامية لوران لابيير قد اشرفت على النفـــاد و كميـــات الماء التي لم يعد باستطاعتهم التزود بها من المنبع الذي كانوا يستغلونه بسبب حمايته من بنيران المجاهدين بالإضـــافة الى انقطاع الاتصال الخارجي عنه ففكر "لوران لابيير "بالفرار مع جنوده من الواحة خفية ليلة 24 مارس وبعد وصول ديكلو الى المدينة اعطى الاوامر بمواجهة السنوسيين من الجهة الغربية للمدينة ليتفاجأ ديكلو **Duclo** بوجـــود مـــدفعين للمجاهدين في هذه الجهة ففتحت النار بهما على مجوعته الذين سقط منهم العديد بينما لاذ هو و من بقي معه على قيـــد الحياة بالفرار و بذلك تم تحرير المدينة واستعادتها من طرف السنوسيين ورفع العلم التركي على زاويتها من جديد، امـــا بالنسبة "للوران لابيير" الذي فر من قبل من الواحة مع من بقي معه من حاميته فقد تعقبت اثره مجموعة من المجاهـــدين بأمر من السلطان أمود و نظرا لنقص المياه و المؤونة لديهم استطاع المجاهدين إلقاء القبض عليه في منطقـــة ادمـــر و اقتيادهم الى واحة الكفرة التي ظل مسجونا بها الى غاية 1919[34].

استرجاع الفرنسيين لواحة جانت: بعد انهزام ديكلو بالقرب من واحة جانت وتراجعه نحو فور بولينياك ســـارع لطلـــب الدعم من برج فلاتيرس و ورقلة وهذا الانكسار الذي حصل للفرنسيين بسبب انتزاع واحة جانت مـــنهم دفعهـــم الـــى استنفار كل قواعدهم الخلفية في الوادي و ورقلة و تماسينين من اجل انقاذ الموقف لان الامر يتعلق بانفتاح جبهة للهقـــار و بالتالي تسرب الثورة الى هناك و لمعالجة الموقف قام الفرنسيون بوضع مخطط اخر استعجالي لاسترجاع المدينة وفي نفس الوقت الذي دعا فيه الفرنسيون حلفائهم الايطاليين للسيطرة على مدينة غات معقل المجاهـــدين و نقـــل الحـــرب و المواجهة اليها لإجبارهم على الانسحاب من جانت لكن المجاهدون تمكنوا من التغلب على الايطاليين في تلك الاثناء.

في 18 أفريل اعطيت الاوامر لاستقدام قوات من ورقلة للتقدم نحو المنطقة الغربية لواحة جانت و محاصـــرتها كما طلب الكابتان "lemouland" السيطرة على الجانب الشرقي للمدينة أي جهة حي "الميهان" و تمركز هو في الجهـــة الغربية لواد جانت بالقرب من حي "اجاهيل" و تدعم بمجموعة ، مدعمة بمدفع عيار 65 ملم اما منطقة الشمالية لحـــي " ازلواز " فهي الاخرى تمت محاصرتها لتبدا المعركة بين المجاهدين والفرنسيين باستخدام المدافع و الرشاشات و ابـــدي المجاهدون مقاومة كبيرة لكنها انتهت في الاخير بانسحابهم نحو مدينة غات و استرجاع المدينة من طرف الفرنسيين في 16 ماي سنة 1916 وابقى ديكلو ،على150 جندي فرنسي لضمان حمايتها[35] ، لكن انسحاب المجاهـــدين مـــن واحـــة جانت لم يكن الغرض منه الاستسلام و التفريط في هذه الواحة و انما لتنظيم الصفوف حيث نظم المجاهدون مـــا بـــين شهر ماي الى شهر اوت 1916 العديد من العمليات الصغيرة استهدفت فور بولينياك وانزلوا خسائر كبيرة بالمهارسيت الذين يحمون البرج ثم وجهوا عملية اخرى استهدفت حاملي البريد من المهارسيت المجندين وقضت عليهم.

لتتعزز تلك العمليات الصغيرة بالهجوم الذي شنة الضابط " كاوسن khaoucen" بأمر من السي العابد السنوسي حيث كان عدد المهاجمون يتكون من 200 جندي من خيرة جنود الحركة السنوسية مع العديد من الرشاشات و توجـــه بهم نحو جانت وهذا بعد ان قطع عن الحامية الفرنسية بجانت كل اشكال الامدادات بفضل القبائل المحلية التي دعمتهم و اسفر الهجوم عل اخلاء جانت و جميع الاجزاء الجنوبية للطاسيلي حيث حققت هذه العمليات الصغيرة نتائج هامة خســـر على اثرها الفرنسيون العديد من الاسلحة و الرجال و ذلك اصبح الطريق مفتوحا اما السنوسيون نحو الهقار[36]

2-منطقة الهقار:

اوضاع منطقةالهقارقبل الحرب العالمية الاولى :تميزت باحتلال الفرنسيين لمنطقة تيدكلت والقصور المجاورة لها سنة 1900م و مكن هذا الاحتلال من جعل الفرنسيين على مرمي حجر من الهقار و لم يبق لهم سوى ايجاد الذريعـــة التـــي تبرر لهم توغلهم فيه و قد اتخذوا من تعرض احدى النساء التارقيات النبيلات (فاطمة ولت مسيس)الموالـــة للفرنســـيين

للاساءة من طرف"بابه اق تمكلوست"حينما استولى على ابلها وبضاعتها في عمق الصحراء ذريعة لملاحقتة بعد فراره الى داخل الهقار و محاولة القاء القبض عليه و محاكمته .

معركة تيت 7 ماي 1902: لقد جهز الفرنسيون حملة الى الهقار يقودها "الكولونيل كوتنيست" بحجة ملاحقة بابه اق تمكلوست و التي كانت تضم ايضا مجموعة من المجندين من الشعانبة و بعض المحاربين من سكان تيدكلت وعندما وصلت الحملة الى منطقة تاظروك شن كوتنيست الذي اكتشف وجود بعض الادوات الخاصة بالكولونيل فلاتيرس عند بعض الاهالي المنطقة حرب الابادة ضد سكانها و قبل وصول الحملة الى تامنراست طبق قائدها سياسة الارض المحروقة ضد كل القري و المداشر التي شملها خط سير الحملة ،و من تامنراست غادر اعضاء الحملة المدينة صباح يوم 07 ماي باتجاه قرية تيت الواقعةعلى بعد 40كلم غرب تمنراست اين جرت المعركة بين قبائل الهقار و مجموعة كوتنيست دامت ما يزيد عن الساعتين و انتهت بانتصار كوتنست و مجموعته على قبائل طوارق الهقار رغم المقاومة والصمود في المعركة الذي ابداه المقاومون[37]و كان ذلك نتيجة لعدم التوازن في نوعية السلاح ،و غياب الخبرة في ادارة المعارك و التخطيط المحكم لهاعند طوارق الهقار ، يضاف الى ذلك اجراء المعركة في ميدان مكشوف واغلب المقاومون كانوا يركبون الجمال مما سمح لبنادق الفرنسيين بالانتصاروحسب التقارير الفرنسية كانت حصيلتها مقتل اكثر من 100شهيد[38]من قبيلة دق اغالي لوحدها بالاضافة الى اعداد كبيرة من القتلي و الجرحي من القبائل الاخرى وكانت هذه الهزيمة بالاضافة إلى وفاة الامنكال اهيتاغل سنة1900[39] و شغور منصبه في هذه الظروف سبب في دخول منطقة الهقار في مرحلة جديدة من تاريخها اهم ما ميزها حصول فراغ سياسي في هرم السلطة التقلدية بالهقار حيث لم يوصي اهيتاغل لأحد ليتولي المنصب و لذلك لجات قبائل الهقار الى محاولة ملء هذا الفراغ عن طريق اختيار امنوكال اخر على طريق الخط الاومي.

و كان من المفروض في هذه الوضعية أن يتولي المنصبّ "محمد اق اورزيق "ابن الاخت الكبرى للأمنوكال المتوفي لكن نظرا لتقدم سنه تنازل عن المنصب . وكان المرشح الثاني الذي يجب ان تؤول له السلطة التقليدية هو "اتسي اق املال"ابن الاخت الصغري لأهيتاغل ، و قد عزز من موقفه بين القبائل لتولي المنصب كونه رفض الخضوع للفرنسيين بعد معركة تيت وقد تبني خط المقاومة[40] ، و كان ذا خبرة بسبب ارتباطه بخاله لمدة طويلة وقد شارك معه في القضاء على بعثة فلاتيرس 1881بمنطقة أمقيد و قد هيأت هذه الاجواء للفرنسيين المجال لكي يتحكموا في مصير البلد عن طريق:

1- ضرب وحدة قبائل كنفيدرالية الهقار:باستخدام سياسة فرق تسد فقاموا باقصاء "اتسي" و ترشيح موسي اق امستان الذي قبل بالخضوع لهم من خلال توقيعه لمعاهدة عين صالح سنة 1904[41]
2- تطبيق سياسة الحصار الاقتصادي: وذلك بغلق اسواق تيديكلت وتوات و اسواق السودان امام سكان الهقار و منعهم من التموين بحاجياتهم منها و مراقبة تحركاتهم و غلق المراعي امام مواشيهم و منع الاتصال مع كل المناطق المجاورة لهم.

استقدام الاب دوفوكولد للهقار: حيث تطلبت استراتيجية "هنري لابيرينH.lappirin جلب الاب دوفوكولد للمنطقة اولا لاتمام مهمة التنصير التي بداها في منطقة بني عباس سنة 1901 و ثانيا لخدمة المخطط العسكري الذي اعده لابيرين لمنطقة الهقار والذي كان يحتاج فيه الى رجل يثق فيه ثقة عمياء وهذا بحكم الصداقة التي كانت تربطهما من ايام الدراسة حيث اخذه معه في زيارته الى الهقار 1904 ليستقر بها نهائيا سنة 1905 .

لقد قام دوفوكو بتغطية الاحداث الدائرة في الهقار من وصول خبر اندلاع الحرب للمنطقة في 03ديسمبر 1914 الى غاية مقتله في 01 ديسمبر 1916م ، سواء كانت لها علاقة بالسكان وتحركاتهم او بتطورات الحرب ومجريتها على جميعا الجبهات[42]و لكي لا ينشغل الناس بأحداث الحرب فقد قام بتعتيم كبير حولها حتى لا تدفعهم للثورة او التمرد او

متابعة اخبار الدعاية السنوسية، و مما قال في هذا الشأن لما سئل عنها:" شعبين كبيرين اراد اكل شعبين صغرين واربعة شعوب في المواجهة(فرنسا – انجلترا في مواجهة روسيا واليابان " كما قزم من دور تركيا في الحرب وصورها بانها دويلة صغيرة كصربيا ، و بلغاريا ، و بلجيكا[43] و من بين الامثلة التي يمكن أن نسوقها كدليل على دوره في خدمة الاستراتيجية الحربية لبلاده .

إرساله لواحد و أربعين رسالة[44] إلى قائد الأقاليم الصحراوية لابيرين يطلعه فيها على مختلف أوضاع منطقة الهقار وتطورات الحرب بالجبهات المحيطة بها، و ايضا حديثه عن تحمل الفرنسيين عبء انسحاب الايطاليين من مدينة غات واغدامس سنة 1914م مما اضطرهم لجلب قوات كبير لسد الثغرات التي احدثها ذلك الانسحاب لدرجة لم يبق في" فورموتيلنسكي" إلا ظابط فرنسي واحد بمعية 06 او07 من الاهالي وهذا جعل منطقة الهقار مكشوفة و بامكان السنوسين الوصول اليها .

و مما يدل على ان تخلي دوفوكولد عن بزته العسكرية و ارتدائه عباءة التدين لم تنسه خبرته العسكرية التي تلقاها في مدرسة سان سير الحربية ، تحليله لإحداث الحرب على مختلف جبهاتها حيث يقول عن الحدود الغربية لليبيا ان الهجوم الذي قام به "خليفة بن عسكر" على مراكز الدهيبات وام السويقات ادى الى الحاق خسائر كبيرة في صفوف الكولونيل ترستورنيل trestournel و الكوموندان اباتAbat مما استدعى جلب قوات كبيرة الى هذه الجبهة من ورقلة واد سوف وهذا اعتبره خطاء استراتيجيا آخر ارتكبه الفرنسيون لأنه تسبب في التقليل من تامين هذه المناطق التي اصبحت مفتوحة اما هجومات الموالين للحركة السنوسية و التي قد تكلف الفرنسيين الكثير .

و نفس الملاحظة يذكرها دوفوكولد والتي تخص الاحداث الدائرة في منطقة (ادرار نيفوغاس) حيث كان يتواجد حليفهم موسى اق امستان هذا الاخير الذي تعرضت خيامه لهجوم كاسح من طرف "كنته عبدين " الذي انزل خسائر فادحة بموسى اق امستان و اتباعه نتيجة قلة الاسلحة و الذخيرة وعدم قيام القوات الفرنسية القريبة من المنطقة من نجدته مما دفعه لطلب المساعدة من الفرنسيين المتواجدين بالهقار

مظاهر ردود فعل سكان الهقار اثناء الحرب العالمية الاولى: سبقت الاشارة الى ان بداية الحرب العالمية الاولى شهدت سنة 1914م طرد الاطاليين من واحة اغدامس وغات وسمحت تلك العمليات للحركة السنوسية التي قادها الضابط كاوسن من الاستلاء على العديد من الاسلحة و المدافع و الذخيرة الحربية ، هذه المعدات العسكرية التي اغتنمها كاوسن شجعته خصوصا بعد انتصار الحركة السنوسية على الفرنسيين في 4 مارس 1916م و استرجاع واحة جانت التي تمكن الفرنسيون من اعادة السيطرعليها ،على توسيع استراتجية الحرب لتشمل منطقة الاير و الهقار و فتح جبهات اخري لمواجهة الفرنسيين ،و هذا من خلال النداء الذي وجهه كاوسن عبر الرسالة التي ارسلها الى سلطان اقدز عبد الرحمان تيقاما Tegam اعلن له فيها "انه مكلف من طرف السي العابد السنوسي بدفع المسلمين وتحريضهم على المشاركة في الحرب المقدسة للسنوسية ضد الكفار داعيا اباه ان يرتقب وصوله الغير بعيد الى منطقة الآير من اجل تحرير اخوانه من سيطرة الفرنسيين[45].

و بعد وصول هذه الرسالة الى منطقة الاير لا نستبعد وصول نداء كاوسن الى منطقة الهقار بحكم تواجد العديد من قبائله هناك وهذا العمل مزق سياسة الحصار والتعتيم التي مورست على الهقار لمدة سنتين من مجريا الحرب لتشهد منطقة الهقار في خريف 1916م تصعيدا خطيرا تمكن من خلاله سكانها ان يصبحوا طرفا في مواجهة الفرنسيين و فتحوا هم ايضا جبهة للتواجه مع الفرنسيين وكان من نتائج ذلك التصعيد والغليان قتل الاب دوفوكو من طرف مجموعة من رجال المقاومة القادمين من منطقة ا زجر يقودهم : ابه اق غبلي في 01 ديسمبر 1916م و كان هذا الحادث بداية مباشرة لتولد ردود افعال سكان الهقار بالرغم من التعزيزات العسكرية المكثفة التي جلبها الفرنسيون للهقار تحت قيادة

كل من النقيب Dépommer و الملازم الاول لوهيرو le Duraux و قد تمثلت مظاهر ردود الفعل تلك في تجمع اغلب قبائل الهقار (قبيلة دق اغلى- قبيلة أقوه انتهلى- قبيلة تقهى نفيس - قبيلة اوليمد ن) نواحي منطقة أسكرم بالإضافة الى قبائل اخرى ، بدأت تتجمع في منطقة ادلس و تاظروك للاستعداد للهجوم على القوات الفرنسية[46] ومن اهم المعارك التي جسدت ردود الفعل تلك :

- **معركة ايلامان Ilaman فريل 1917:** منطقة ايلامان التي اطلق اسم المعركة عليها هي واد ضيق يقع بين مرتفعات جبلية كبيرة وهذا الوادي لايبعد بمسافة كبيرة عن مدينة تمنراست اما عن المعركة فيمكن ان نقول بناء على المكان الذي جرت فية والمدة الزمنية التي استغرقتها وهي حتى الساعة الثامنة ليلا و نظرا لتموقع المجاهدين بين الجبال والذي كان افضل من قوات النقيب "ماصو" الذي كان مكلف من طرف دي بومييه Depommier بحماية وحراسة مدينة تمنراست انها كانت من أعنف و أكثر المعارك التي جسدت رد فعل سكان الهقار ضد الفرنسيين و سياستهم في المنطقة خلال الحرب العالمية الاولى حيث استطاعت القبائل المتمردة أن تقوم بتعبئة 150 مجاهد لهذه المعركة، رغم أن التقارير الفرنسية قللت من الخسائر التي مني بها الجانب الفرنسي و حصرتها في 11 قتيلا و09 جرحى من بينهم النقيب ماصو[47] الذي جرح في جانبه الايمن و10 مفقودين. و للعلم أن ماصو Masson كان مكلف من طرف النقيب Depommier لحماية و حراسة مدينة تمنراست .

و من الاسباب الدافعة لثورة قبائل الهقار و قيامهم بهذه المعركة :

1- الرد على اكاذيب الفرنسيين بان قبائل الهقار لن تثور ضدهم مادام الامنوكال موسى اق امستان قد وضع يده في ايدهم .وان ما تعاهد به معهم هو شان يخص قبيلته وبعض القبائل فقط و لا يعنيهم لا من قريب او بعيد .

2- ان المعركة جاءت استجابة للدعاية السنوسية الرامية الى طرد الكفار من اراضي المسلمين .

3- المعركة كانت دليل على قدرة قبائل الهقار على كسر الحصار والعزلة التي فرضها الفرنسيون على منطقتهم لتضل بعيدة عن احداث الحرب العالمية الاولى.

4- اظهرت هذه المعركة ان قبائل الهقار كان لديهم استعداد دائم للقيام بعملية التنسيق مع جهود المقاومين في منطقة ازجر و الاير و ما كان ينقصهم هو وجود قيادة تحركهم وتدفعهم للمقاومة و الجهاد و ان ولاءهم لموسى اق امستان والفرنسيين لم يكن حقيقة و انما ا لظروف التي عاشوا في ظلها منذ 1904م هي التي اجبرتهم على الهدوء و الاستقرار.

5-كما اراد المقاومون من هذه المعركة الانتقام من الفرنسيين الذين ضيقوا عليهم الخنادق و فرضوا على القبائل سلطتهم و مراقبة تحركاتهم وقطعو عنهم التموين بغلقهم اسواق تيديكلت و توات و السودان بحجة أن ظروف الحرب لاتسمح بذلك.

واذا كان تقرير النقيب دي بومييه Depommierحول الوضعية السياسية للهقار التي عقبت هذه المعركة والذي كتبه بحصن موتلينسكي في 30افريل 1917 قد حملت معلومات مطمئنة للفرنسيين بان حالة الاستقرار والهدوء قد عادة للهقار وان الوضع متحكم فيه.

خصوصا بعد ان استجابة بعض القبائل الموالية لموسى اق امستان لندائه بالتزام الهدوء وعدم القيام بأي عمل عدائي ضد الفرنسيين حيث ابدت احترامها لأوامر السلطات الفرنسية و تعليماتها و منها (اكلان تويست،و قبيلة ابطاناتن ، و ارقناتن وقسم من اسقمارن جهة تيفدست(كيل اداغاغ و امقيد) إلا أن نفس التقرير لم يخفى تخوف دي بومييه من تكرر ردات فعل القبائل المنشقة على موسى اق امستان والتي يتزعمها "انامبا سورى اق شيخات صهر انا مبا والمودن ولد اكلسو بخة ثمنه ولد بخة –احمد الشريف و حمه ولد دوا وهي (قبيلة دق اغالي –ايت لوين –اجوه –نتهلى – اسمعارن)و أغلبيتهم كانوا مصرين على الاستمرار في القتال .

2-معركة تهراق باينكرIn-Eker في15جوان 1917: ان توقع الفرنسيين حصول تمرد آخر ضدهم و ضد قوافلهم التجارية التي تستخدم الطريق بين عين صالح و الهقار لم تمضي إلا مدة شهرين على معركة ايلامان ليقوم سكان الهقار بالتواجه مرة ثانية مع الفرنسيين في واد تهراق الواقع بالقرب من منطقة اينكر شمال مدينة عين امقل ، وقعت هذه المعركة عندما قام المجاهدون بالتصدي لدورية فرنسية كانت مكلفة بمهمة ارجاع البريد الذي وصل الي عين صالح الي اليوتنو لوهيرو le hureaux الذي كان متواجدا بمنطقة "تين فلكي tin felki" فلما وصلت الدورية الى منطقة اينكر وجدت الجمل الذي كان يحمل البريد لكنها لم تجد حامل البريد و لا الحقيبة التي كانت معه و اثناء تعقب الدورية لأثار الرجل لمعرفة ماذا حصل له فوجئت بمجموعة من المقاومين الطوارق راكبي الجمال يتراوح عددهم مابين 200الى300رجل تقوم بالهجوم على الدورية الفرنسية فاضطروا للاحتماء بالجبل وشرع قائد الدورية " دي لوجي بيتري Des logis pietri"بتنظيم فرقته للتصدي لهجوم المقاومين في الوقت الذي احاط فيه المقاومون بالدورية واشتبك الفريقان في معركة كبيرة دامت لعدة ساعات واسفرت نتيجتها عن قتل العديد من جنود الدورية واصابة قائد الدورية بيتري[48]و فرار من بقي منهم على قيد الحياة .

و قد اجبرت هذه المعركة وما تمخض عنها من ضحايا الفرنسيين على اعادة حساباتهم والتفكير في تغييرطريقة تعملهم مع القبائل الثائرة و ذلك بالاكتفاء بالدفاع عن مواقعهم التي يتمركزون بها للتقليل من الخسائر التي لحقت بهم واستبدال المواجهة بالمفاوضات و تطبيق سياسة الحصار الاقتصادي ضد القبائل المتمردة و الثائرة على امل دفعها الى الخضوع و الاستسلام مقابل حصولها على حاجياتها من المواد الغذائية و السلع من الاسواق المعتادة التي كانت تتمول منها من قبل ،خصوصا ان زعيم المتمردين " ابه اق غبلي Abeuh ag Gabli " في هذه الفترة و في ظروف غامضة نجهل اسبابها غادر منطقة الهقار عائدا الى منطقة ازجر، ربما ذلك يعود الى تخلي القبائل الثائرة التي كان يتزعمها عنه بسبب ما لحق افرادها من معانات من جراء الحصار الاقتصادي الذي فرضة الفرنسيون عليها ؟ كذلك اقدم القائد:(انامبا وسوغي اق شيخات) على طلب الامان من الفرنسيين ولسنا ندري هل كان ذلك نتيجة خلافهما مع ابه اق غبلي او نتيجة سخط القبائل التي يتزعمانها لعدم قدرتها على الصمود ومواصلة المقاومة او ربما يعود ذلك الى سماع هولاء المقاومون جميعا بالقضاء على الضابط كاوسن في ليبيا[49]و بداية تراجع وانحصارنفوذ السنوسيين في ليبيا سنة 1917م امام مجموعات قوات الانجليز التي كان يقودها الجينرال" ماكس ويلMaxwell "[50]نحو واحة سيوة Siaoua ثم نحو جغبوب كما تراجع احمد الشريف السنوسي نحو جيالو وزيلة .

أسئلة تحتاج الى اجوبة كثيرة؟ و لكن مهما كانت الاجابة عن هذه الاسئلة الان مايجب التنويه به و الاشادة بذكره ان انخراط سكان الهقار في مقاومة الفرنسيين وتدعيمهم للجهاد المقدس الذي دعت اليه الحركة السنوسية اثناء الحرب العالمية الاولى بين ان الفرنسيين واجهوا من خلال هذه المقاومة خصما عنيدا خلق لهم صعوبات كثيرة و تكبدة قواتهم أمام سكان المنطقة خسائر كبيرة و لولا اتساع الحدود الجغرافية للمنطقة و قلة وسائل الاتصال التي اثرت تاثيرا مباشرا على ضعف التنسيق بين اجنحة المقاومة الثلاثة (ازجر،الهقار ،الاير) وعلى نوعية وفعالية المعارك التي اتخذت طابع حرب الكر و الفر يضاف لها قلة العدة و العتاد الحربي لكان للمقاومة كلمتها التي تكلف الفرنسيين من المعانات والخسائر اضعاف ما تكبدوه و لكن بالرغم من ذلك تبقي المقاومة في الهقار ملحمة من اهم ملاحم كفاح الشعب الجزائري التي عبر من خلالها عن رفضه للاستعمار الفرنسي و وتمسك سكان المنطقة بانتمائهم لهذا الوطن واستعدادهم للدفاع عنه بكل ما يملكون مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

الهـــوامش:

(1) احمد مريوش: «التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعـل سـكان الهقـار1916»، المصـادر ،ع11،السداسـي لاول2005،ص 120 ،انظر أيضا: يحي بوعزيز: «اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقارمن خلال ما كتبـوه»، الاصـالة ،عدد خاص عن تاريخ منطقة الهقار بمناسبة انعقاد الملتقي 13للفكر الاسلامي بعاصمتها تمنراسـت ،السـنة الثامنـة رمضـان 1979،ص65.

(2) -Philebert (G) et Gerafes Rolland :**La France en afrique et le transsaharien** ,p10.

(3) اسماعيل العربي :**الصحراء الكبري و شواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1983،ص 102.

(4) لويس فيدرب : ولد عام 1818 و توفي عام 1889 عينته فرنسا حاكما عاما للجزائر قبل ان يقوم بنفس المهمة في السـنغال التي يعتبر المؤسس الحقيقي لعاصمتها داكار سنة 1857 و التى قدر لها ان تصبح منذ ذلك الحين مركزا لاعداد مخططات التوغل الفرنسي داخل القارة وعرفانا بمجهوداته الكبيرة و خدماته الجليلة فيما تعلق ببناء امبرطورية فرنسا في افريقيا منحته فرنسا لقـب "بطل الحرب للجمهورية الفرنسية "، عثمان برايماباري :**جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي** ، دار الامين للتوزيع مصر العربية ، ص 72

(5) ارشينارد : ولد في مدينة لهافر و تابع تعليمة في المدرسة المتعددة التقنيات و تخرج منه عام 1870 كلف بالمساهمة في إنجاز مهمة عسكرية في الهند الصينية و بعد عودته منها مباشرة اصبح مدير للمدرسة المتعددة التقنيات ثم عينـه بـورقني د يسـبور borgni disbordes لقيادة كتيبة المدفعية للسودان و كان عمره حينها 30 سنة وبدأ منذ ذلك الحين عملية الاشراف على مد خط السكة الحديدي آخذا بعين الاعتبار معطيات المناخ ، التضاريس ، وفترات ارتفاع منسوب المياه في نهر النيجر مـا بـين شـهر اكتوبر ونوفمبر لتسمح بنقل العتاد و الجيش بواسطة الزوارق .انظر:

-G. Requin : **Archinard et le soudan**_, paris edition , BErGER le vrault ,1946 ,p 6,7
HENRiL'HOTE :**lestouaregs,duhoggar**,bibliothèque scientifique deuxem èdition,revue et augmenteè poyot,paris,1955,p381

(6) –أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية ، دار البصائر** ، الجزائر ، 2009،ج1 ، ص 232.

(7) مزيان سعيدي:من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830-1870،حوليات ، العدد03 ، ماي 2011،ص36

(8) l'hote :op.cit ;p282

(9) ابو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي** ، دار الغرب الاسلامي، ط 2،ج3 ،ص111
انظر ايضا: مزيان سعيدي:مرجع سابق،ص34.

(10) كافينياك:شارك هذا الضابط قبل ان يرقي الى رتبة جنرال (1848)الى جانب الجنرال كلوزيل في حصار مدينة تلمسان سنة 1835،ولما انتصر الامير عبد القادرعلى كلوزيل انسحب هذا الاخير الى الجزائر ،لينتقل الى فرنسا طالبا النجدة فتـرك وراءه" كافينياك "على راس حامية عسكرية في القلعة لحماية تلمسان ومراقبة تحركات الامير. وقد ولد كافينياك في عام 1762في مدينـة جوردنGourdon وهو الابن الرابع عشر عند والديه ،ولما اصبح كافينياك شابا اصبحت له مكانة مميزة فـي مجتمـع بلدتـه الصغيرة التي لم يعد اليها الا نادرا منذ ان انخرط في الجندية .انظر:

-Le Général Cavaignac : **un Dictateur Républicain ,par ,le général** Ibos ,librairie Hachette ,79boulevard st Germain,paris,p62

(11) فليكس جاكو:**حملة الجنرال كافينياك في الصحراءالجزائرية** ، ترجمة حليمة بابوش،دار الرائد،الجزائر،2013،ص190

(12) ابراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837-1934**، دار هومة ،الجزائر 2005، ص171

(13)حمزة بن بويكر: ينحدر اصلة حسب اغلب الروايات التاريخية من عائلة ابو بكر الصديق خليفة الرسول (ص) .وقـد كـان لأجداده الرئاسة على قبيلة اولادسيدي الشيخ الذين كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة عند سكان الصحراء وقبيلة اولاد سيدي الشـيخ تنقسم الى فرعين ،اولاد سيدي الشيخ الشراقه واولاد سيدي الشيخ الغرابة ومطنهم مدينة لبيض سيدي الشيخ:انظر

-TRumelet(c) :**les Français dans le dèsert,journal d'un expèdition,aux limites du Sahara Algérien**,paris ;1863 ,p68
(14) l'hote :op.cit,p379

(15) ibid, p 390

(16) ibid,p390

(17) Cauvet (G): **le rid du lieutenant Cottnest au Hoggar**, préface du colonel Peitier , Marseille, 1945 , p 14

انظر ايضا : بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 56

(18) Le Huraux (c) , Les Français au Sahara , Preface de M.aug. Bernard , Editions Les territoire du sud Alger , p 85.

(19) l'hote :op.cit, p 397

(20) l'hote :op.cit , p391

(21) السلطان عبد الحميد الثاني :ولد عام 1842 وتوفي سنة1918 اصبح سلطانا على الدولة العثمانية من 1876الى غاية 1909 كان حزب الشباب التركي "حركة تركيا الفتاة" قد خلعوا السلطان عبد العزيز واجلسوا على عرش الدولة اخاه عبد الحميد لكن هناك مؤامرة حيكت ضده وانزل على اثرها من العرش بحجة انه مجنون فاعتلي عبد الحميد الثاني العرش مكانه ،وحكم البلاد حكما استبداياحيث احاط نفسه بمجموعة من رجال الاستخبارات اشتهر عهده بالحروب :فحارب صربيا 1876 ،وروسيا (1877-1878) وانتهى هذا السجال بعقد معاهدة سان سيتفانون التي عدلت اثناء مؤتمربرلين 1878 حارب اليونانيين وحدثت مذابح الارمن بعدها ما بين (1894-1896) قتل خلالها عدد كبير من الارمن،بسبب التدهور الذي كانت تعيشه المؤسسة العسكرية حصل تقارب بنية وبين المانياتوج بتعين العديد من الضباط الالمان لتدريب الجيش العثماني وحصل الالمان مقابل ذلك على امتياز انشاء سكة حديد برلين بغداد ثارعليه سنة 1908 الضابط الشبان المنتمون الى حزب تركيا الفتاة واجبروه على منح دستور للبلاد ثم خلعوه سنة 1909 وسجن في صالونيك ثم أزمير.انظر: شقيق غربال :**الموسوعة العربية الميسرة** ، دار احياء التراث العربي،ط 1965،المجلد 2 ،ص1180

(22) يحي جلال: **المغرب الكبير العصور الحديث وهجوم الاستعمار** ، ،دار النهضة العربية، بيروت،1981،ج3، ص670

(23) نفسه ،ص 596

(24) Gardel(G) :**les touaregs Ajjer** ,editions baconnier ,p315

(25)**معاهدة اوشي لوزان:** ابرمت بين كلا من ايطاليا والدولة العثمانية اثناء تولي جماعة الاتحاد و الترقي السلطة في تركيا واوشي هي ضاحية من ضوا حي مدينة لوزان السويسرية وقد تولي توقيعها ممثلا عن الدولة العثمانية (محمد نبيه بيك،وفخرالدين بيك) اما الجانب الايطالي فقد مثلهم كلا منزليتري،وفوسيناتو ،وجوزيبي فولبي ،انظر: www.marefa.org/index.php

انظر ايضا عن معاهدة اوشي لوزان :كارل بروكلمان:**تاريخ الشعوب الاسلامية**،نقله الى العربية نبيه امين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1984 ص601

- **La Guerre Sainte des senoussiya dans l'Afrique française (1915-1918)** ,Revue africain ,publier par la société historique Algerienne,1939,p229

(26) ناصرالدين سعيدوني:**دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، ،المؤسسه الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1988،ج2، ص265 .

(27) Gardel (G) : op.cit ,p,320

-أنظر أيضا: يحي بوعزيز:**الاستعمار الحديث في افريقيا** ،مجلة المؤرخ العربي مجلةفصلية تاريخية محكمة تعني بشؤون التراث و التاريخ العربي و العالمي تصدرعن الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب-العدد31-السنة الثانية عشر 1987 ص35. و كارل بروكلمان:مرجع سابق ،ص6.

(28) Général Meynier :Revue Africain, publier par la société Historique Algérienne ;1939,p231

(29) luciani(D) :**un document sur la guerre, lettre du sultan au grand maitre de la confrérie des senoussia** ,in Revue africain,1925N°322,p77

(30) عمر الديراوي: **الحرب العالمية الاولي**، بيروت ، 1979،ص52

(31) محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**،د.ت ، ص342.

(32) يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص58

(33) Meynier :op.cit ,p 236

(34) Meynier :op.cit ,p 236

(35) مياسي : مرجع سابق ص 541،542

(36) Meynier :ibid ,p254

(37)مياسي:مرجع سابق ص524

(38) LE Hureaux(C) :les français au sahara,èdition les teritoires du sud alger1937,p131

(39) l'hote :op.cit,392.

(40) حسن مرموري: **الطوارق بين السلطة التقليدية و الادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين** مطبعة مــزوار، الــوادي ، 2010،ص273

(41) Paul pandolfi :**in salah 1904 /Tamenrasset1905 les deux soumission des touaregs kel Ahaggar** ,in cahiers d'ètude africain,1998,p51

(42) Gorrèe(G) :**sur les traces de charles de Foucauld** , les éditions la plus rancgrand Fe, paris,1936,p288

(43) ibid,p298

44 كنته عابدين : من سلالة عرب كنته كان لاجئا في الهقار بعد موقعة تمبكتو وتزوج من امرءة من كيل اهنت ورزق منها بطفل وبذلك اصبحت له سلطة روحية في توجه امور الهقار منذ سنة 1903 فاصبح من اكبر المعارضين للتواجد الفرنسي في الهقار ، ثم انتقل الى رقان واقام بزاوية كنته باحثا عن الاسلحة والبارود ومن هناك انسحب الى بربر الصحراء وواد الذهب انظر: Henri lhote :op.cit,p39

(45) chatelard :op. cit,p 130

انظر ايضا: بوعزيز مرجع سابق ص 57

(46) Meynier , op.cit,p330

(47) meynier: opcit ,p348

(48) عبد الحميد زوزو :**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر** ،م.و.ك ، الجزائر ،1984، ص ،131 -132

(49) lhote : ibid,p418

(50) Meynier(G) :**laGurre saint de la senoussya**,in cahiers charles deFoucould,1947,1ér-2èm,3èm trim,4èrtrim,194